

هويتنا في فكر الشيخ عبد السلام الأسمر

القرن العاشر الهجري وسقوط الأندلس لا يزال يدوي بقوة اهتزت لها كل حواضر الإسلام وهجمات القراصنة الصليبيين الحاقدة على مدن وثغور المغرب العربي تتواصل بشراسة آتمة وليبيا تروّج تحت الاحتلال الإسباني الذي تنزل عنها في 936هـ لمنظمة فرسان القديس يوحنا الصليبية المتطرفة.

ولأن المساجد والزوايا وأضرحة الصالحين والمعالم الإسلامية عامة هي هدف مباشر لكل برنامج تنصيري عادة فإن المآذن تهدم والقباب تُدك وأضرحة الصالحين ومشاهدهم ومزاراتهم تُسوى بالأرض، يقول الرحالة العياشي في رحلته المسماة (ماء الموائد) عن ليبيا: سبب خفاء كثير من قبور الصالحين المدفونين أن البلد قد تداولته أيدي المسلمين والنصارى مرارا عديدة. اهـ.

في هذه القرة الحرجة والظروف التي تمس ما هو أهم من حياة الإنسان نفسه أي العقيدة قام هذا الرجل العظيم الشيخ عبد السلام الأسمر لوحده بمسح طبوغرافي شامل يحتاج لجفا أكاديمية متخصصة ومؤسسات وأطنان من المراجع والوثائق وزمن وتدوين، لقد وثق أسماء العلماء والمتصوفين وذوي الصلاح الليبيين وحفظ هذه الأعلام في ذاكرة الأمة. إن بلدا تخلو ذاكرته من أعلام يدون تراجمهم ويحتز بمآثرهم يعتلي نقصا حضاريا شديدا وخللا في تركيبته الوجودية هاما، إن توثيق أعلام الإسلام هوية ودلالة على عمق مشاعرنا الدينية وأصالتنا الإسلامية إنه قيمة ومفخرة واعتزازا لذا حظيت كتب التراجم وسير الأعلام بمكفة بارزة في العلوم الإسلامية واضطلع الشيخ عبد السلام الأسمر في عصره بهذه المهمة الخطيرة في بلادنا.

إن قصائد سيدي عبد السلام الأسمر ومقطعاته الشعرية التي بلغت 700 قصيدة باللغة العربية الفصحى و400 باللغة العامية و800 على أوزان الششتري و500 على أوزان الشيخ الجعرائي وأعداد غير قابلة للإحصاء من الأشعار الملحونة تعتبر أكبر مرجع تاريخي ليبي حفظ أسماء أعلام الليبيين حتى وفاته في (981هـ).

ونغوص في هذا البحر الزاخر لننشر من درره ما يسمح به المقام، فمن ذلك قوله:

يا بو عجيله ما تنغر	***	فزع رجال الغريبه
سيدي حمد جاب العسكر	***	وعدادهم زاد الميه
عبد الجليل وأبو جعفر	***	في ساعة قالوا هيا

(هويتنا في فكر الشيخ عبد السلام الأسمر)

مقال مستل من كتاب (سري للغاية) للشيخ أحمد

القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، ط 1 ،

2018م

طرابلس عن ابنه محمد الخروبي (ت963هـ) دفين الجزائر العاصمة، ويقول:
 بالغرباء بابن عبد المولى *** عبد النبي الأصفر وخولاه
 وعبد النبي دفين بو ماضي بككله من كبار أعلام الشمال الأفريقي وربما نخصص له مقالة
 وخولاه من متصوفات العراق، ثم يقول لا فض فوه:
 بمحفوظ المليالي بالحشاني *** وباللاتجيلي وبالكرماني
 والأولان من أعلام ليبيا المشاهير ويكفي أن تعلم أن الشيخ أبا عثمان الحشاني (ت362هـ)
 اتفقت على فضله الأوائل والأواخر، قال عنه الشيخ أحمد النائب الاتصاري في النفحات:
 من أكابر الصوفية حاويا للعلوم الدنية والمعارف القدسية والأسرار العرفانية منقطعاً للعبادة
 ا.هـ.
 هذه نبذة مختصرة عن مهمة عظيمة قام بها رجل عظيم في وقت كادت تضع فيه الهوية
 بلغة دارجة ميسورة في أشعار يفهمها ويحفظها كل أحد لبساطتها وسهولة مأخذها وهو
 مقصد الشيخ منها.
 ثم إنه غرس هذا في تلاميذه ولا أظنني مغالياً إن قلت: إن كتاب روضة الأزهار لتلميذه
 الشيخ كريم الدين البرموني والنور النثر لتلميذه الشيخ سالم المنهوري هما من كتب
 التراجم الليبية الأساسية.

وكل هؤلاء من أعلام ليبيا فأبو عجيله هو سيدي محمد حركات (ت789هـ) دفين
 العجيلات، وعبد الجليل هو سيدي عبد الجليل الحكيمي (ت675هـ) وأبو جعفر هو أبو
 جعفر الجزوري وكلاهما دفن في جنزور.
 وأحياناً يحدد مكن الولي بدقة ووضوح، فيقول:
 سيدي المصري في المنشيه *** والقندي في فزان
 وسيدي عبد الله المصري دفين طرابلس أشهر من أن نعرف به أما القندي فهو القندي
 مولاي رواق (ت802هـ) ودفن في براك الشاطي.
 وفي {الجوهرة المنورة} وتسمى أيضاً السلسلة الجهرية وهي منظومة لسيدي عبد السلام
 الأسمر طويلة النفس بلغنا منها 543 بيتاً من الشعر من بحر الرجز وثقت أسماء كثير من
 الأعلام والأولياء والصالحين من داخل ليبيا وبلاد الإسلام عموماً وحتى بلدان الأعاجم
 وتكاد تغطي بموسوعة وإحاطة خارقة العادة رقعة جغرافية تمتد من الصين في أقصى
 شرق آسيا إلى مالي في غرب أفريقيا، يقول:
 بابن حاتم عدي بابن الصلاح *** بالرماح بالولي ابن الفلاح
 والرماح هذا من كبار متصوفي ليبيا له شرح على حكم ابن عطاء الله السكندري نوه به
 الشيخ أحمد زروق، ولاحظ أنه لم يُدرج في هذا عفا وإنما أراد الشيخ عبد السلام الأسمر
 بعقريّة أن يجعله مع نظرائه من علماء الإسلام المتميزين في لفظة غاية الكمال، ويقول في
 نفس المنظومة:
 بابن أبي العطار بالحلشاني *** وبالنفثي وقضيب البان
 وابن أبي العطار وقضيب البان متصوفان من خارج ليبيا من مدرسة تقول بمجاهدة النفس
 قياماً وصياماً وانقطاعاً لله تعالى، وتراه ذكر معهما بالمعية موقفة متصوفين ليبيين من
 تاجورا من المدرسة الصوفية نفسها هما الشيخ علي الطلشاني وتلميذه الشيخ عبد الكريم
 النفثاني وكانا على قدم من الولاية والصلاح وعلى صلة بمتصوفي عصرهما، وللشيخ أحمد
 بن عروس قصيدة في رثاء الشيخ عبد الكريم النفثاني تدل على فضله ومكانته الكريمة، ثم
 يقول الشيخ عبد السلام الأسمر:
 وبالخروبي الكبير بالسخالوي *** بابن خلكن والسراوي
 قتره لا يكتفي بالاسم مجرداً بل يميز الأب وهو الشيخ علي الخروبي بلقب الكبير دفين